٢٤- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق: (وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا: تآخوا فى الله أخوين أخوين؛ ثم أخذ بيد على بن أبى طالب، فقال: هذا أخى، فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين .. وعلى بن أبى طالب أخوين .. وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه وخارجة بن زهير أخو بلحارث بن الخزرج أخوين، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعتبان بن مالك أخو بنى سالم بن عوف أخوين، وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزرج أخوين ...)[١].

وعن أنس رضى الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى فعرض عليه أن يناصفه[٢] أهله وماله. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك، دلنى على السوق، فربح شيئًا من أقط[٣] وسمن، فرآه النبى ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة[٤]. فقال النبى ﷺ: مَهيم[٥]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٠٥.

(٢) يناصفه أهله وماله: يعطيه نصف أهله ونصف ماله.

(٣) الأقط: يصنع من اللبن والدقيق.

(٤) وضر من صفرة: لطخ من زعفران قد تطيب به.

(٥) مهيم: ما حالك وما شأنك.

يا عبد الرحمن؟ قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار. قال: فما سقت[1] فيها؟ فقال: وزن نواة من ذهب. فقال النبى ﷺ: أولم[2] ولو بشاة[3].

وعن موسى بن ضمرة بن سعيد عن أبيه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض. وآخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام وكانوا تسعين رجلاً، خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار. ويقال كانوا مائة. خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار. وكان ذلك قبل بدر)[4].

وعن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المؤونة[5]، وأشركونا فى المهنأ[6]، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم[7].

---

(١) ما سقت فيها: ما هو مهرها.

(٢) أولم: اذبح شاة واجعل عليها وليمة.

(٣) البخارى، ٥ /ك مناقب الأنصار.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٥) كفونا المؤونة: كفونا التعب.

(٦) أشركونا فى المهنأ: أشركونا فى الثمرة.

(٧) مسند الإمام أحمد، ٣ /١٩٥.

٢٥- غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلاً من الشام فى عير[١] لقريش عظيمة وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش. فندب[٢] الناس إليهم وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله أن ينفلكموها[٣]. فاستأجر أبو سفيان ضمضم الغفارى فبعثه إلى مكة. وأمره أن يأتى قريشًا ويخبرهم أن محمداً قد عرض لتجارتهم فى أصحابه. فتجهز الناس سراعًا، ولم يتخلف من أشراف قريش أحد. وأتى رسول الله ﷺ الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم. فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش. فقام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراد الله. فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[٤] لقاتلنا معك دونه. ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا علىَّ أيها الناس. فقال سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ (أى الأنصار أهل المدينة) قال: أجل. فقال سعد: امض يا رسول الله لما أردت. لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد. ثم قال: سيروا وأبشروا فإن

---

(١) فى عير قريش: فى تجارتها.

(٢) ندب: دعا.

(٣) ينفلكموها: يربحكم إياها.

(٤) برك الغماد: بلد بعيد باليمن.

الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين[١]. والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم[٢].

ولما رأى رسول الله ﷺ قريشًا قال: اللهم هذه قريش أقبلت بخيلها وخيلائها وفخرها تحادك[٣] وتكذّب رسولك. اللهم فنصرك الذى وعدتنى.

ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة وقم يا على فلما قاموا ادنوا منه. فبارز عبيدة عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز على الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبة حتى قتله، وأما على فلم يمهل الوليد حتى قتله. واختلف عبيدة وعتبة ضربتين، وكرَّ حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فذففا[٤] عليه.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم وقال: والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسبًا[٥]، مقبلاً غير مدبر[٦] إلا أدخله الله الجنة. فقال عمير بن الحمام - وفى يده تمرات

---

(١) إحدى الطائفتين: التجارة أو الجيش.

(٢) مصارع القوم: مكان مقتلهم.

(٣) تحادك: تحاربك.

(٤) ذففا عليه: قضيا عليه وقتلاه.

(٥) محتسبًا: قاصداً رضاه الله.

(٦) غير مدبر: غير فارٍ من الحرب.

ياكلهن -: افما بيني وبين الجنة إلا ان يقتلني هؤلاء. ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قُتل. ثم إن رسول الله ﷺ اخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشًا بها ثم قال: شاهت الوجوه. ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه، فقال: شدوا. فكانت الهزيمة فقتل الله تعالى من قتل من صناديد[1] قريش. وأسر من أسر من أشرافهم.

قال ابن إسحاق: عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال لي أمية بن خلف: من الرجل فيكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبّد المطلب. قال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل. وكان أمية هو الذي يعذب بلالاً بمكة. فلما رآه قال: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. فأحاطوا بنا فهبروه[2] بأسيافهم.

وكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح. قال: سمعت القوم وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه. فصمدت نحوه. فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت[3] قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فبقيت معلقة في جلدة من جنبي. فلقد قاتلت عامة يومي هذا

(١) الصناديد: الأبطال. (٢) هبروه: قطعوه.
(٣) أطنت قدمه: طيّرتها.

وإنى لأسحبها خلفى. فلمّا آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها ثم مرّ بأبى جهل وهو عقير[1] مُعوِّذ بن عفراء فضربه حتى أثبته[2]. فتركه وبه رمق[3]. فمر عبد الله بن مسعود بأبى جهل. قال: فوجدته فى آخر رمق فعرفته. فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله. قال: أخبرنى لمن الدائرة[4] اليوم؟ قلت: لله ولرسوله. ثم احتززت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله! هذا رأس عدو الله أبى جهل. فقال رسول الله ﷺ: آلله الذى لا إله غيره- وكانت يمين رسول الله ﷺ - قلت: نعم والله الذى لا إله غيره. ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله ﷺ فحمد الله.

وعن ابن عباس قال: حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبى الله القبلة، ثم مدّ يديه فجعل يهتف[5] بربه حتى سقط رداءه عن منكبيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مُردفين[6]﴾... فأنزل الله عز وجل ألفًا من الملائكة

(١) عقير: بين الموت والحياة. (٢) أثبته: كاد يهلكه.
(٣) به رمق: به حياة. (٤) لمن الدائرة: لمن النصر.
(٥) يهتف بربه: يستغيث ربه ويطلب منه العون.
(٦) مردفين: متتابعين.

مردفين عند أكتاف العدو. وقال رسول الله ﷺ: أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر(١) بعمامة صفراء وآخذ بعنان(٢) فرسه بين السماء والأرض)(٣).

٢٦- غزوة أحد

لما أصيب يوم بدر من كفّار قريش، ورجع أبو سفيان بعيره. مشى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر. فكلموا أبا سفيان. ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة. فقالوا: يا معشر قريش: إن محمداً قد قتل خياركم. فأعينونا بهذا المال على حربه. فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا. فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها (٤)، ومن أطاعها من كنانة وخرجوا معهم بالظعن(٥) ابتغاء الحفيظة(٦).

فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال: «إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا. فإن دخلوا علينا قتلناهم». فقال رجال من المسلمين: أُخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون إنا جبُنّا عنهم وضعفنا. فخرج رسول الله ﷺ في ألف من

---

(١) معتجر: لابس. (٢) عنان فرسه: رأس فرسه.
(٣) سبل الهدى والرشاد للصالحين ٤/(٢٨-١٠٠) مقتطفات.
(٤) أحابيشها: أتباعها. (٥) الظعن: النساء.
(٦) ابتغاء الحفيظة: لإثارة النخوة في الحرب في الدفاع عنهن.

أصحابه. حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد، انخزل[1] عنه عبد الله ابن أبى (زعيم المنافقين) بثلث الناس.

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشِّعب من أحد، وتعبَّى[2] للقتال وهو فى سبعمائة، وأمَّرَ على الرماة عبد الله بن جبير. والرماة خمسون رجلاً فقال: انضح[3] الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا. وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سَمُرَة بن جندب، ورافع ابن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة. وكان قد ردّهما، فقيل له: إن رافعًا رامٍ فأجازه. فقيل له: فإن سَمرة يصرع رافعًا فأجازه. وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه أبو دجانة. فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى فقال: أنا آخذه بحقه.

ولما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرِّضنهم. فاقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة، وجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله. وكان فى المشركين رجل لا يدع جريحًا إلا ذفّف[4] عليه. فالتقيا. فاختلفا ضربتين. فضرب المشرك

---

(١) انخزل: رجع.
(٢) تعبى: استعد.
(٣) انضح: إرم.
(٤) ذفّف عليه: قتله.

رأس أبى دجانة فاتقاه بدرقته[١]. وضربه أبو دجانة فقتله. ولما اشتدّ القتال، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل إلى على أن قدِّم الراية فتقدم على فقال: أنا أبو القصم[٢] فناداه أبو سعد بن طلحة صاحب لواء المشركين.. هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرز بين الصفين. فاختلفا ضربتين. فضربه على فصرعه. وأنزل الله نصره على المسلمين، فحسوهم[٣] بالسيوف حتى كشفوهم[٤] عن العسكر.

وقال ابن الزبير عن أبيه: والله لقد رأيتنى أنظر إلى هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب. إذ مالت الرماة إلى العسكر. وخلوا ظهورنا للخيل. فأتينا من خلفنا. وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل. فانكفأنا[٥]، وانكفأ[٦] علينا القوم بعد أن أصبنا[٧] أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد.

قال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون. فأصاب فيهم العدو. وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة

---

(١) اتقاه بدرقته: صدَّ سيفه بترسه.
(٢) أبو القصم: أى أقصم الأبطال.
(٣) فحسوهم بالسيف: حاربوهم.
(٤) كشفوهم: هزموهم.
(٥) انكفأنا: رجعنا.
(٦) انكفأ علينا القوم: هجموا علينا.
(٧) أصبنا: قتلنا.

حتى خلص[١] العدو إلى رسول الله ﷺ. فدُثَّ[٢] بالحجارة حتى وقع لشقه. فاصيبت رباعيته[٣] وشج[٤] فى وجهه، وكلمت[٥] شفته. ووقع رسول الله ﷺ فى حفرة، فاخذ على بن أبى طالب بيده ورفعه طلحة حتى استوى قائمًا. ومص مالك بن سنام الدم عن وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده[٦] فقال رسول الله ﷺ: من مسَّ دمى دمه لم تصبه النار.

وقاتلت أم عمارة يوم أحد، فقالت: ... لما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذب[٧] عنه بالسيف، وأرمى عن القوس، حتى خلصت الجراح إلى. قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحًا أجوف له غور[٨]. فقلت: ما أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقماه[٩] الله. لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلونى على محمد لا نجوت إن نجا. فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير. فضربنى هذه الضربة. ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات. ولكن عدو الله كان عليه درعان.

قال ابن إسحاق: وترَّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه،

---

(١) خلص: وصل.
(٢) دث: ضُرب.
(٣) رباعيته: أحد أسنانه.
(٤) شج: شق.
(٥) كلمت: جرحت.
(٦) ازدرده: ابتلعه.
(٧) أذب: أدافع.
(٨) له غور: كأنه حفرة.
(٩) أقماه: أذله.

يقع النبل فى ظهره، وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل. وأُصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته. فحدثنى عاصم ابنه أن رسول الله ﷺ ردّها بيده، فكانت أحسن عينيه واحدّهما[١].

وقال ابن إسحاق: عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر (عمه) يومئذ سبعين ضربة فما عرفته إلا أخته عرفته ببنانه[٢]. وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس: قُتل رسول الله كعب بن مالك. قال: عرفت عينيه تزهران[٣] من تحت المِغْفَر[٤]. فناديت بأعلى صوتى: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله. فأشار إلىَّ رسول الله: ان أنصت. فلما أسند رسول الله ﷺ أدركه أبى بن خلف وهو يقول: أى محمد لا نجوتُ إن نجوتَ. فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة. فلما أخذها انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشُّعراء[٥] عن ظهر البعير إذا انتفض. ثم استقبله، فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ[٦] بها عن فرسه مرارًا.

---

(١) أحدهما: أكثرهما نظرًا.

(٢) ببنانه: باصبعه.

(٣) تزهران: تبرقان.

(٤) المغفر: خوذة الرأس الحديدية.

(٥) الشعراء: الذباب.

(٦) تدأدأ: انقلب وارتمى.

فبينا رسول الله ﷺ بالشعب، معه أولئك النفر من أصحابه. إذ علت عالية من قريش الجبل وكان على تلك الخيل خالد بن الوليد. فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا. فقاتل عمر بن الخطاب، ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

قال ابن اسحاق عن أبيه عن أشياخ من بنى سلمة أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج. وكان له بنون أربعة مثل الأُسْد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد. فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك. فأتى رسول الله ﷺ وقال: إن بنى يريدون أن يحبسونى(١) عن هذا الوجه. والخروج معك فيه. فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة. فقال له رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك. وقال لبنيه: ما عليكم أن لا تمنعوه. لعل الله أن يرزقه الشهادة، فخرج معه فقتل يوم أحد.

ثم إن أبا سفيان بن حرب حين أراد الانصراف أشْرَفَ على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال وإن الحرب سجال(٢) يوم بيوم. اعْلُ هُبَل. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عمر فأجبه، فقال: الله أعلى وأجل، لا سواء قتلانا فى الجنة، وقتلاكم فى النار. فلما أجاب

---

(١) يحبسونى: يمنعونى.

(٢) الحرب سجال: مساجلة نصر وهزيمة.

عمر أبا سفيان قال له أبو سفيان: هلم إلىّ يا عمر. أنشدك[1] الله: أقَتَلْنَا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا. وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر.

قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ يلتمس[2] حمزة بن عبد المطلب (عمه) فوجده ببطن الوادى قد بُقر[3] بطنه عن كبده، ومُثِّل به، فجدع[4] أنفه وأذناه. فقال رسول الله ﷺ حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع، وحواصل[5] الطير. وأمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجى ببرْدة، ثم صلّى عليه. فكبّر سبع تكبيرات. ثم أُتِىَ بالقتلى، فيوضعون إلى حمزة حتى صلّى عليه اثنتين وسبعين صلاة. ولما أشرف رسول الله ﷺ على القتلى يوم أحد قال: أنا شهيد على هؤلاء. إنه ما من جريح يجرح فى الله إلا ويبعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه. اللون لون دم، والريح ريح مسك.

ومر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار، وقد أصيب

---

(١) أنشدك: أستحلفك.

(٢) يلتمس: يبحث عن.

(٣) بُقر: شُقَّ.

(٤) جدع: قطع.

(٥) حواصل الطير: أجوافهم.

زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله. فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أم فلان. هو بحمد الله كما تحبين. قالت: ارونيه أنظر إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل (تريد صغيرة).

قال ابن هشام عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لعلي لا يصيب المشركون منا مثلها(١) حتى يفتح الله علينا(٢).

٢٧- سرية الرجيع

قال ابن إسحاق: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة(٣) فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلامًا. فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن ويعلّموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله نفراً ستة من أصحابه، وأمَّرَ عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع - ماء لهذيل بناحية الحجاز - غدروا بهم. فاستصرخوا عليهم هُذيلاً فلم يَرُع(٤) القوم. وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف. فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم. فقالوا لهم:

---

(١) لا يصيب المشركون منا مثلها: لا يقبلوا منا بعد اليوم.

(٢) السيرة لابن هشام، ٦٠ - ١٠٠ بتصرف.

(٣) عضل والقارة: اسم قبيلتين.

(٤) يرع القوم: فوجئوا.

إنا والله ما نريد قتلكم. ولكنا نريد أن نصيب بكم[1] شيئًا من أهل مكة. ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقاتلكم. فأما مرثد وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً. وقال عاصم بن ثابت:

أبو سليمان ومثلي راما

وكان قومي معشراً كراما

وكان عاصم بن ثابت يكنى أبا سليمان. ثم قاتل القوم حتى قتل وصاحباه. وأمال زيد بن الدُثنة وخبيب بن عدى وعبد الله بن طارق. فأسروهم، ثم خرجوا إلى مكة. حتى إذا كانوا بالظهران. انتزع عبد الله بن طارق يده من القران[2]، ثم أخذ سيفه. واستأخر عنه القوم. فرموه بالحجارة حتى قتلوه. وأما خبيب بن عدى، وزيد بن الدثنة، فقدموا بهما مكة. فابتاع[3] خبيبًا حجير بن إهاب. وأما زيد فابتعاه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه. وأخرجوه من الحرم ليقتلوه. واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب. فقال له أبو سفيان حين قَدِم ليقتل: أنشدك الله يا زيد. أتحب أن محمداً

---

(١) نصيب بكم: نأخذ مالا.

(٢) القران: حبل الأسر.

(٣) ابتاع: اشترى.

الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه. وأنى جالس فى أهلى. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحد يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. ثم قتله نسطاس. ثم خرجوا بخبيب، حتى إذا جاؤوا به للتنعيم ليصلبوه. قال لهم: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين. أتمهما وأحسنهما. ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعًا من القتل لاستكثرت من الصلاة. ثم رفعوه على خشبة. فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك. فبلغه الغداة ما يصنع بنا. ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً[1]. ولا تغادر منهم أحداً:

فلست أبالى حين أقتل مسلماً

على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع[2]

ثم قتلوه، رحمه الله[3].

---

(١) بدداً: متفرقين.

(٢) شلو ممزع: بقية جسدى المقطع.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، بتصرف ٢ / ١٧١- ١٧٧.

٢٨- غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس.

قال ابن إسحاق: كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود خرجوا حتى قدموا على قريش فى مكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له. ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه. فاجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن، والحارث بن عوف.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبًا للمسلمين فى الأجر. وعن جابر بن عبد الله قال:

عملنا مع رسول الله فى الخندق، فكانت عندى شويهة غير جدٍّ سمينة فقلت: لو صنعناها لرسول الله. فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئًا من الشعير. فصنعت لنا منه خبزًا. وذبحت تلك الشاة، فشويناها له. فلما أمسينا قلت: يا رسول الله إنى قد صنعت لك شويهة صغيرة. فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى. وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله وحده. فلما أن قلت له ذلك. قال: نعم. ثم أمر صارخًا فصرخ، أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر

ابن عبد الله. قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. فأقبل رسول الله ﷺ، وأقبل الناس معه. فجلس، وأخرجناها إليه. فبرّك (١) وسمّى (الله). ثم أكل. وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا، وجاء ناس، حتى صدر(٢) أهل الخندق عنها.

وعن سلمان الفارسي أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلُظت عليَّ صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني فلما رآني أضرب، ورأى شدة المكان عليّ. نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله: ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أوَرأيت ذلك يا سلمان؟ قال: نعم. قال: أما الأولى فإن الله فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة في عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من نجد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره.

---

(١) برّك: دعا بالبركة.

(٢) صدر أهل الخندق عنها: انصرفوا وقد أكلوا منها جميعًا.

وخرج عدو الله حُيَيّ بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى (زعماء يهود) . وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه . . فلم يزل حيى بكعب، حتى نقض كعب عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ . وعظم عند ذلك البلاء واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم. حتى ظنّ المؤمنون كل ظن ونجم[1] النفاق من بعض المنافقين. حتى قال معتب بن قضير: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

وكان عمرو بن عبدود قد خرج يوم الخندق معلّمًا حتى يرى مكانه. قال: من يبارز. (فقام على بن أبى طالب فقال: أنا له يا رسول الله. فقال: اجلس، إنه عمرو. ونادى عمرو: أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إلىّ رجلاً فقال على: أنا يا رسول الله. فقال: اجلس، ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بُححْت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
ولذاك إنى لم أزل متسرعًا عند الهزاهز
إن الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

---

(١) نجم النفاق : ظهر.

فقام علىٌ، فقال: يا رسول الله: أنا. فقال: إنه عمرو. قال: وإن كان عَمْرًا. فأذن له: فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: ومن أنت. قال: أنا على. قال: ابن عبد مناف؟ فقال: على بن أبى طالب. فقال: غيرك يا ابن أخى ومن أعمامك من هو أسن منك. فأنا أكره أن أهريق دمك. فقال على: لكنى والله ما أكره أن أهريق دمك. فغضب وسلّ سيفه كأنه شعلة نار. ثم أقبل نحو على مغضبًا. واستقبله على رضى الله عنه بدرقته. فضربه عمرو فى الدرقة فقدّها. وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه. وضرب على عمْرًا على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله التكبير فعرف أن عليًا قد قتله)(١).

وبعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان. فأعطاهما ثلث ثمر المدينة على أن

---

(١) السيرة النبوية ابن هشام، ٢/١٦٩- ١٧٣ وسبل الهدى والرشاد ٤/٥٣٣.

يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه. فلما أراد رسول الله أن يفعل. بعث إلى سعد بن عبادة وسعد بن معاذ. فذكر لهما ذلك، واستشارهما فيه فقالا له: يا رسول الله: أمراً تحبه فنصنعه. أم شيئًا أمرك الله به. فقال: إنى ما فعلت ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة (١)، فأحببت أن أكسر عنكم من شوكتكم(٢). فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى(٣) أو بيعًا. أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزّنا بك. نعطيهم أموالنا. والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله ﷺ: أنت وذاك يا سعد فتناول سعد الصحيفة. ومحا ما فيها من الكتاب وقال: ليجهدوا(٤) علينا.

وأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا فوارس من قريش يقتحمون الخندق. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس. وكان من صنع الله لرسوله أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بنى قريظة (اليهود) عكرمة

---

(١) رمتكم عن قوس واحدة: اتفقت على حربكم.
(٢) أكسر عنكم شوكتكم: أفرقهم.
(٣) قِرىً: ضيافة.
(٤) ليجهدوا علينا: ليحاربونا.

بن أبى جهل وغيره فقالوا لهم: اغدوا للقتال حتى نناجز [1] محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم. إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه. ولسنا بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهنًا من رجالكم. فإنا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن تتركونا.

والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه. فأرسلوا إلى بنى قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا. فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا فقاتلوا. فأبوا عليهم. وخذّل[2] الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح فى ليالٍ باردة شديدة البرد. فجعلت تكفأ[3] قدورهم وتطرح [4] آنيتهم. فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرّق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما يفعل القوم ليلاً. فقال: يا حذيفة. اذهب فادخل فى القوم، فانظر ماذا يصنعون. ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا. قال: فذهبت فدخلت فى القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقرّ لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناءً. ثم قال أبو سفيان:

يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك

---

(١) نناجز: نحارب.

(٢) خذّل: فرّق.

(٣) تكفأ: تقلب.

(٤) تطرح: ترمى.

الكراع والخف [١] وأخلفتنا بنو قريظة [٢]، وبلغنا عنهم الذى نكره. ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قِدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإنى مرتحل.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ، وهو قائم يصلى فى مرط [٣] لبعض نسائه. فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه، وطرح علىّ طرف المرط. ثم ركع وسجد. فأخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش. فانشمروا [٤] راجعين إلا بلادهم. ولما أصبح رسول الله ﷺ، انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح. وقال رسول الله ﷺ: لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا. ولكنكم تغزونهم)[٥].

٢٩- غزوة بنى قريظة

قال ابن إسحاق: فلما كانت الظهر [٦]، أتى جبريل رسول الله ﷺ فقال له: إن الله عز وجل يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة. فإنى عامد[٧] إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا فأذن فى

---

(١) هلك الكراع والخف: هلكت الخيل والإبل.

(٢) أخلفتنا بنو قريظة: نقضوا عهدهم.

(٣) مرط: كساء. (٤) انشمروا: رجعوا.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢١٤- ٢٣٢ بتصرف، ومصادر أخرى.

(٦) الظهر: وقت صلاة الظهر.

(٧) عامد إليهم: ماضٍ إليهم.

الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. ولما أتى رسول الله بني قريظة نزل على بئر من آبارها وقال: يا إخوة القردة. هل أخزاكم الله وأنزل عليكم نقمته.

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم(١). قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون. وإني عارض عليكم خلالاً (٢) ثلاثًا، فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل. قالوا: لا نفارق حكم التوارة أبداً. قال: فإذا أبيتم فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه بالسيوف حتى يحكم الله بيننا وبينه. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم. فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا. فانزلوا لعلنا نصيب من محمد غرة (٣). قالوا: نفسد سبتنا علينا.

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس. فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج فقال لهم: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. قال: فذاك إلى سعد بن معاذ. وقد كان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم

---

(١) يناجزهم: يحاربهم.

(٢) خلالاً: أعمالاً.

(٣) غرة: نغدر بهم وهم آمنون.

بالخندق(١): اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده (٢) من قريب. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم. فقاموا إليه. فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك (٣) لتحكم فيهم. فقال سعد:

فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء. فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (٤).

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة وأبناءهم على المسلمين.

فلما انقضى شأن بنى قريظة. انفجر بسعد بن معاذ جرحه، فمات شهيداً. فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: يا محمد. من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء، واهتزّ له العرش. فقام رسول الله ﷺ إلى سعد فوجده قد مات. فقال: «والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتز له العرش (٥).

---

(١) بالخندق: أصاب سهم من رجل مشرك في غزوة الخندق.

(٢) أعوده: أزوره.

(٣) أمر مواليك: أمر حلفائك.

(٤) سبعة أرقعة: سبع سموات.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٢٣٣- ٢٥١ بتصرف.